ليست هناك عطية أو هبة أغلى وأعظم من هبة الأطفال، وبالمقابل ليست هناك مسؤولية أشق وأصعب من مسؤولية الأبوة. نحن جميعاً نتعلم كيف نكون آباءً؛ وذلك من خلال ممارستنا لهذه الأبوة. وهؤلاء الذين يربون أكثر من طفل يعلمون بأن المعاملة تختلف من طفل إلى آخر، وما تعلمناه أيضاً خلال ممارستنا لعملنا هو أن الحدث الذي يجعلنا في حالة حيرة وهلع تجاه طفلنا الأول، يكون سهلاً ومألوفاً مع طفلنا الثاني أو الثالث، ومع كل طفل من أطفالنا، الذي يختلف كل واحد منهم عن الآخر في الطباع والمزاج والاستعدادات الفطرية، والقوة والضعف، معهم جميعاً، ومن خلالهم نتكيّف ونتعلم المرونة في التعامل مع كل واحد منهم وبشكل وبطريقة يتوافقان واحتياجاته وطبيعته.

والكتاب هذا يثبت صحة تربية أطفالك أو عدمها، حتى مع كل واحد منهم إذا كان لديك العديد. ومعظم ما يتضمنه هذا الكتاب هو مجرد نصائح تلقائية (غريزية، فطرية)، إلا أنه وفي بعض مواضعه يتطرق إلى طروحات وإرشادات وموضوعات غير مألوفة بالنسبة لك كقارئ، وخصوصاً إذا كنت تمارس أبوّتك للمرة الأولى، أو إذا كنت بعيداً عن الأبحاث التربوية الحديثة المتعلقة بتربية الأطفال. وأملي أن كتابي هذا سيُعتَمد -فيما بعد-

كمرجع انتقائي؛ (لمعالجة مشكلات الطفولة المبكرة والطفولة في مراحلها الأولى)، وأن يجد الآباء والتربويون في كتابي هذا المعلومات المفيدة والإستراتيجية التربوية الناجحة والمثمرة التي يرغبون في تطبيقها، وممارستها مع أطفالهم.

ولكن (والكلام هنا موجه للأب والأم وللمربين بصورة عامة) عليك ألا تشعر بأنك الأب غير الملائم إذا كنت لا تطبق الكثير من تلك الإستراتيجيات والأساليب والإرشادات التربوية ضمن محيطك العائلي، فليس هناك من والد مثالي، أو ذاك الذي باستطاعته تطبيق وتنفيذ كل ما هو مطلوب منه، حتى في أحسن الحالات والمناخات، وحتى في حال بذله جهداً وفي حال تصميمه على ذلك: هناك بعض الاقتراحات والإستراتيجيات التربوية (الأساليب) التي ستجدها صعبة التطبيق والممارسة، لكن بوسعك بذل ما هو باستطاعتك منها، فمارس وطبق ما هو ضمن إمكانياتك، وما يتماشى مع إحساسك، ومع ما يتناسب مع عائلتك، والأفضل أن تجرب بعض التطبيقات الجديدة، على أن تجري تعديلات شاملة في ذات الوقت.

وهذا الكتاب يسلط الضوء على ما بإمكان الآباء والمربين فعله لمساعدة أبنائهم الذين هم في سن المرحلة التمهيدية لدخول المدارس، والروضات. وهذا المرجع موجه للآباء بمن فيهم هؤلاء المربون مهما كان شكل عائلاتهم، أو من هو المسؤول عن تربية الأطفال.

والرسالة الموجهة إلى الآباء والمربين من خلال هذا الكتاب هي:

استمتع بطفولة ولدك، اغتنم تلك الهبة الإلهية في مرحلة الطفولة المبكرة الغالية الرائعة، واجعلها متعة حياتك ونقاءها، احتضنها ووجه اهتماماتك لها، فهي السنوات الحساسة الحاسمة التي فيها تحدد لطفلك نموه ومساراته واتجاهاته ومستقبله الدراسي والحياتي، وتطوره في جميع الميادين، وفي المجالات الاجتماعية والعاطفية، والسلوكية، والمعرفية، كما وأنك تمنحه خلال سنوات الطفولة المبكرة الحساسة قدرات تساعده على مزيد من الثقة بنفسه، وأيضاً تمنحه صحة جسدية رائعة، وصحة عقلية متميزة، واستشفافات مذهلة؛ فاهتمامك وتفهمك وتوافقك مع طفلك يعني بالنسبة له الكثير. فاحتياجات طفلك ونجاحاته معتمدة بالدرجة الأولى عليك، وعلى محبتك غير العادية، التي يجب أن تكون حاضرة بغض النظر عن تصرفات طفلك وسلوكياته ومؤهلاته. وأنا ممتنة وسعيدة في كوني أمّاً. وأنا وزوجي محظوظان في كوننا حظينا بتربية ثلاثة أطفال كان هدفهم النجاح الباهر في المدرسة، وتحقق لهم ذلك، وها هم الآن وقد تخرجوا في الكليات التي اختاروها هم بأنفسهم. ونحن سعيدان برصيدنا في هذه الحياة الذي هو أبناؤنا الرائعون الناجحون، وهذا النجاح له صلة مباشرة بما قمنا به نحن كآباء. ومن ناحية أخرى علينا -وبصدق وأمانة- الاعتراف بأن أبناءنا أصبحوا شباناً يافعين رائعين بالرغم مما فعلناه في الكثير من الأحيان من أخطاء تجاههم، ولا يهم حسن غاياتنا وإدراكاتنا التي

نحن عليها، إلا أننا جميعاً نرتكب أخطاء جمّة على طول خط حياتنا كآباء، آملين ألا يكون في هذه الأخطاء ما يتعذر إصلاحه، أو أنه في وقت من الأوقات سبّب أذى لأطفالنا. ولحسن الحظ أن الأطفال مرنون ومتكيفون، وأيضاً هم صبورون متسامحون تجاه أخطائنا كآباء، والسبب أو السر هو أنه -ومهما يكن شكل أبوتنا- فإنّ أطفالنا يعلمون ويدركون شيئاً أساسياً ومهمّاً وهو أنهم محل حبّنا العميق ومحل اهتمامنا، إلا أن عليهم معرفة أن هناك -بالإضافة إليهم- أشياء أخرى مهمة في حياتنا، حياة آبائهم (على سبيل المثال أناس آخرون، أصدقاء، أعمال، هوايات، اهتمامات، اجتماعيات، روابط ونشاطات)، وعلى كل حال عليهم أيضاً معرفة أنه لا شيء آخر يمكن أن يكون أهم منهم عند آبائهم في المطلق، وعليهم الشعور دائماً بأن:

أبواي يحباني، يهتمان بي، يعلماني، يدركان اهتماماتي، وعلى دراية بما أقوم به ويبذلان جهداً مضاعفاً في سبيل تنشئتي تنشئة مثالية.

ومن المفيد معرفة بأن مرحلة الطفولة المبكرة ٣-٥ سنوات هي مرحلة من العمر حساسة ودقيقة، وأن أهم طور من أطوار النمو العقلي يتم في هذه المرحلة.

وفي الحقيقة، وفي هذه السنوات التكوينية، والتي فيها يتم التأسيس التعليمي، هناك الكثير مما بإمكانك فعله تجاه ولدك وبشكل سليم، والذي يساعد على زيادة، وبشكل كبير، من فرص

نجاحه في مدرسته في تلك الآونة، وفي جميع المراحل المدرسية أيضاً. بالإضافة إلى ذلك تزيد معرفتك في كيفية التوجيه من استعداداته للنجاح في حياته العملية بصورة عامة. وأملي كبير أن يكون للمعلومات والإرشادات الواردة في هذا الكتاب فائدة وتستطيع من خلالها وضع الأساس التعليمي المتين لولدك، وكذلك الإعداد لمسار حياتيّ إيجابي له.

الدور الهام الذي يلعبه الآباء في قضية التحصيل العلمي لطفلهم

تعد مرحلة ٣-٥ سنوات في عمر طفلك، مرحلة رياض الأطفال، أو المرحلة التمهيدية لدخوله المدرسة، من أدق المراحل النمائية في عمره، وهي أيضاً المرحلة التي تمتلكان فيها كأبوين، فرصاً استثنائية للتأثير على كيفية نظرة ولدك للحياة، والأهم من ذلك التأثير على كيفية نظرته إلى نفسه كمتلقٍ للعلم، وذلك من خلال إغداق محبتك وتربيته وتوجيهه وتشجيعه؛ فولدك - وبشكل طبيعي- يحاول الاكتشاف بنفسه، فيجرب ويحفظ ويمارس، ويغامر، ليحوز على الشعور بالبراعة، بالسيطرة وبالكفاءة وبقدرته على النجاح. وأنت تلعب دوراً مهماً في حياة طفلك كمعلم أساسي، وكنموذج تعليمي، وتساعده على اكتشاف قدرات التعلّم الأساسية التي تساعده في مستقبل حياته التعليمية/المدرسية بصورة عامة، وهذه القدرات/ المهارات هي: الكلامية، البيانية، التعامل مع الآخرين، النشاطات الحركية (الحركات القوية والخفيفة للعضلات) بالإضافة إلى القدرات الاجتماعية والعاطفية والسلوكية، ومهارات المحاكاة العقلية (التفكير والمنطق)، والنمو المعرفي والتعبيري (القراءة والكتابة) ولحسن الحظ إنّ الآباء هم ليسوا بحاجة إلى تدريبات وتمارين أساسية لإنجاز وظيفتهم التعليمية بنجاح تجاه ولدهم، ولمساعدته على إنماء قدراته ومهاراته كمعلمين أساسيين. فنحن - وبصورة

عامة – نعلم أطفالنا الصغار من خلال التماسّ الشعوري اليومي معهم، وذلك عندما نتكلم ونلعب معهم، وكذلك عندما نعانقهم ونقرأ لهم، وأخيراً وعندما وبهدوء وبصبر ودراية نساعدهم في حل مشكلاتهم. هذا ويحصل أطفال روضات الأطفال، وأطفال المرحلة التمهيدية على كمّ هائل من المعلومات الجديدة وبكفاءات وقدرات، في الوقت الذي يتخلصون فيه من ضعفهم، ويصبحوا أقوى وأقدر بدنياً على اكتشاف العالم من حولهم، وذلك كله في تلك المرحلة؛ فطفلك في سنيّه المبكرة يكتسب قدرات نطقية/ كلامية، ويتعرَّف على كمٍّ من المفردات بمعدل مدهش. بالإضافة إلى ذلك فإن طفلك في مرحلة عمره المبكرة، في سنيِّه الأولى، هو دائماً في تساؤل وحيرة مستمرين حول ما يحيط به، وتتملكه الرغبة في معرفة السبب الكامن وراء كل الظواهر التي يلحظها حوله، وهو في طلب للعلم متزايد، ومتعطّش وتوّاق ومتحمّس لفهم نفسه والعالم من حوله، وهو إلى ذلك توّاق وراغب في الاستقلالية والإحاطة بكل شيء؛ لذا وعند إعطائه الفرصة –وذلك من خلال تقديم الإجابات عن تساؤلاته– سيمتلك بذلك معلومات جديدة، وسيقيم مقارنات، وهذا كله سيمنحه فرصة اكتساب قدرات ومهارات ذهنية وعقلية تمكنه من النجاح في مدرسته.

لذا يمكن القول إن أطفالنا يزدهرون وينجحون بسبب اهتمامنا بهم، وكذلك بسبب ملاحظتنا ورعايتنا لهم، وبسبب إيماننا وثقتنا بنجاحهم التي ننقلها إليهم.

من هنا، علينا ألا نقلل من تأثير دورنا الفاعل كنموذج وكمثل أعلى.

بالنسبة لأطفالنا. فنحن، وتلقائياً، محطّ أنظارهم وتقديرهم في طريقة تصرفاتنا، وفي كيفية حديثنا مع الآخرين، والتعامل معهم، وكذلك نحن نمثل لهم مثلاً أعلى يُحتذى عندما نعمل على رفع مستوانا، وفي محاولة اكتساب مهارات جديدة، وعند الإمساك بزمام الأمور، وعند معالجتنا للمسائل العالقة في حياتنا، وأيضاً عندما نقرأ ونكتب يومياً لاكتساب المعرفة والتعلم، وعندما نعمل لاكتساب المزيد، من السعادة والفرح في حياتنا. وعلينا ألا ننسى بأننا بالرغم من زلاتنا الشخصية إلا أننا محط محبة وإعجاب أطفالنا، وحتى عطفهم حيث هم يرغبون دائماً في إسعادنا، وأيضاً تواقون ليكونوا مثلنا. أما بالنسبة لنا نحن كآباء، فإن هذا يمثل امتيازاً ومسؤولية رهيبين/ عظيمين لا يمكن إغفالهما.